جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية
Naif Arab University for Security Sciences

أوراق السياسات الأمنية
Security Policy Papers

Volume 1, Issue (1), 2020, 1-13, https://nauss.edu.sa
http://spp.nauss.edu.sa/spp

ورقة تحليل سياسات أمنية

دور الحمض النووي الجنائي في موسم الحج والعمرة

The Role of Forensic DNA in the Hajj and Umrah Season

بندر بن ردة الله الهذلي

المختبرات الجنائية، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية

Bandar Radatallah AL-Hothali

Forensic laboratories, the Holy Capital (Makkah), Saudi Arabia

المخرجات الرئيسية

- إنشاء مركز الاستعراف البشري، الذي يمثّل مكتب المطابقة، لتحديد هويات المجهولين من الحجاج والمعتمرين والجثث المجهولة.
- تحديد هوية المجهولين (الذين لا يحملون إثبات هوية)، وكذلك الجثث المجهولة بعد موسم الحج بالطرق العلمية المعتمدة عالميًا.
- تكوين فريق تحديد هويات ضحايا الكوارث الذي يُعد أحد المتطلبات الضرورية لمنظمة الشرطة الجنائية الدولية (الإنتربول).
- وضع نقطتي دم أو ثلاث على الخاص بفحص الحمض النووي (DNA) في أثناء الكشف الطبي، كأحد المتطلبات الضرورية للحصول على تأشيرة الحج أو العمرة، وذلك لتكون عينة قياسية مرجعية لطالب التأشيرة. بالإضافة إلى بصمة الإبهامين اليمنى واليسرى، ثم يُختم من الجهة المحرزة للعينة وتحت مسؤوليتها.

المستخلص

انطلاقًا من الهدف الأسمى لرؤية 2030م لحكومة المملكة العربية السعودية الرشيدة، التي تعتمد على ثلاثة محاور أساسية، هي: المجتمع الحيوي، والاقتصاد المزدهر، والوطن الطموح؛ من أجل صناعة مقومات الريادة لجميع الوزارات والقطاعات الحكومية والقطاع الخاص في شتى المجالات العلمية والعملية على مستوى الكفايات الإقليمية والدولية، خصوصًا فيما يتعلّق بخدمة ضيوف الرحمن ورفع مستوى الكفاية والجودة؛ لتوفير سبل الراحة، حتى يؤدوا الركن الخامس من أركان الإسلام بسكينة واطمئنان وأمن وأمان، وهدفت هذه الورقة إلى وضع آليات وخطط لعملية تحديد هُويَّة جثث الضحايا في الكوارث التي تنجم عنها خسائر في الأرواح (لا قدَّر الله)، من خلال البصمة الوراثية (DNA) لضيوف الرحمن. وقد عرضت الورقة أهم التحديات التي تواجه آلية تحليل الحمض

Abstract

The objective of Vision 2030 laid down by the government of the Kingdom of Saudi Arabia relies on three main themes: a vibrant society, a thriving economy, and an ambitious nation. This aims to create the elements of leadership needed in all ministries and government and private sectors in various scientific and practical fields that reach regional and international levels of competency. This is especially needed with regard to serving the visitors to the Holy Mosques and holy sites with the goal of raising the level of efficiency and quality. This is intended to enable pilgrims to perform the fifth pillar of Islam in peace, tranquility, safety and security. This paper aims to develop mechanisms and plans for the identification of the bodies of disaster victims through the DNA of the visitors to the Holy Mosques and holy sites. The paper shed light on the most prominent challenges facing the DNA analysis mechanism for unidentified bodies. It also addressed the mechanism for dealing

SPP© 2020. This is an open access article, distributed under the terms of the Creative Commons, Attribution-NonCommercial License.

CrossMark

النووي للجثث المجهولة، كما تطرقت إلى آلية التعامُل مع الجثث المجهولة من منظور مذكرة منظمة الشرطة الجنائية الدولية (الإنتربول)، وقدمت موجزًا لأهم مراحل تحديد هويات ضحايا الكوارث. وقدمت الورقة بعض التوصيات التي من أهمها: دراسة فكرة إنشاء مركز الاستعراف البشري، وإقامة ورش عمل بمشاركة المتخصصين، دراسة الآليات والطرق النظامية وفق العلاقات الدولية التي تسهِّل الوصول إلى أسر المفقودين وأقاربهم؛ لأخذ عينات قياسية منهم وفحصها.

with unidentified bodies from the perspective of the International Criminal Police Organization (Interpol) memorandum and outlined the most important stages for identifying victims of disasters. Moreover, the paper offered some recommendations. The most prominent of which are to study the idea of establishing a human identification center, to hold workshops with the participation of specialists, and to study the legal mechanisms and methods in accordance with international relations that facilitate reaching the families and relatives of missing persons in order to acquire and examine their standard samples.

1. المقدمة

تضافرت جهود الجهات الحكومية المشاركة في مهام الحج، وتضاعفت البحوث والدراسات والإمكانات بما يتناسب وهذه الأعداد الكبيرة جدًّا من الحجيج، الذين يتوافدون إلى منطقة محصورة بين جبال شاهقة وعرة وأودية سحيقة في مكة والمشاعر المقدسة (منى، ومزدلفة، وعرفات)، وهذا أمر له أهمية كبرى؛ حيث يحتاجون إلى بذل مزيدٍ من إجراءات المحافظة على أمنهم وسلامتهم في أماكن إقامتهم وتنقلاتهم في أثناء أدائهم مناسك الحج وحتى مغادرتهم المملكة سالمين.

إن فرص احتمالية حدوث أزمات أو كوارث واردة جدًّا، الأمر الذي يؤدِّي إلى حدوث وفيات وإصابات كما حدث في بعض مواسم الحج في الأعوام السابقة، ما يحتِّم علينا وضع الآليات والخطط لتحديد هُويَّة جثث الضحايا في الكوارث التي تنجم عنها خسائر في الأرواح (لا قدَّر الله)، وتؤدي البصمة الوراثية (DNA) الدور الأهم في هذه العملية.

2. المنهجية

اعتمدت هذه الورقة منهجًا وصفيًّا في سرد أعداد ضيوف الرحمن وطبيعة المشاعر المقدسة جغرافيًّا والحوادث التي تعرض لها الحجيج ووسائل الاستعراف الممكنة لتحديد هوية الجثث المجهولة.

3. طبيعة موسم الحج

1.3. ارتفاع أعداد ضيوف الرحمن

استقبلت المملكة، عبر منافذها البرية والبحرية والجوية، ملايين المسلمين لأداء فريضة الحج والعمرة؛ حيث تستقبل نحو 10 ملايين معتمر على مدار 9 أشهر من العام، وحيث إنه من المتوقَّع أن تزداد أعداد الحجاج في الأعوام القادمة؛ فإن الخطة المستقبلية هي استقبال 30 مليون معتمر و2.85 مليون حاج من الخارج بحلول عام 2030م حسب رؤية المملكة 2030م. والجدول 1 يوضِّح الإحصاءات الخاصة بأعداد الحجاج القادمين من داخل المملكة وخارجها لسنوات مضت (صحيفة مال، 2017).

جدول 1- الإحصاءات الخاصة بأعداد الحجاج القادمين من داخل المملكة (1426-1440هـ)

موسم الحج	عدد حجاج الداخل	عدد حجاج الخارج	الإجمالي
1426 هـ	700603	1557447	2258050
1427 هـ	724229	1654407	2378636
1428 هـ	746511	1707814	2454325
1429 هـ	679008	1729841	2408849
1430 هـ	154000	1613000	1767000
1431 هـ	989798	1799601	2789399
1432 هـ	1099522	1828195	2927717
1433 هـ	1408641	1752932	3161573
1434 هـ	600718	1379531	1980249
1435 هـ	696185	1389053	2085238
1436 هـ	567876	1384941	1952817
1437 هـ	537537	1325372	1862909
1438 هـ	600108	1752014	2352122
1439 هـ	612953	1758722	2371675
1440 هـ	632133	1855027	2487160

2.3. الطبيعة الجغرافية لمكة المكرمة

تقع مكة المكرمة ضمن إقليم تهامة، غرب شبه الجزيرة العربية، على بُعد 80 كيلومترًا من البحر الأحمر، ويبلغ ارتفاعها حوالي 277 مترًا فوق مستوى سطح البحر، وتحتوي على تكوينات صخرية وعرة وقمم جبال شاهقة، خصوصًا في المشاعر المقدسة، وفي مشعر منى تحديدًا.

ومشعر منى وادٍ شرق مكة، محصور بين سلسلة جبال؛ ويبلغ طوله نحو 4100 متر، وأقصى عرض 1700 متر، وأقل عرض لا يزيد على 400 متر، بمساحة كلية تبلغ 7.82 كم^2، الصالح منها للاستخدام فعليًّا 4.8 كم2 فقط، أي ما يعادل 61% من مجمل المساحة، والمتبقي 39% (3.02 كم^2)، عبارة عن جبال وعرة ترتفع بعض قممها حوالي 500م عن الوادي.

وقد يستقبل مشعر منى ما يزيد على مليوني حاج، بالإضافة إلى غيرهم من العاملين ومقدِّمي الخدمات المختلفة، ما يجعل هذا الموقع، ولمدة معينة، الأصغر مساحة والأكثر اكتظاظًا بالناس في العالم، كما أن النهضة العمرانية التي تشهدها المنطقة المركزية، وكذلك المنطقة المحيطة بمشعر منى، المتمثِّلة في البنايات الضخمة والعالية، تدعو إلى الاهتمام بشكل كبير بأمن الحجاج والمعتمرين وسلامتهم من الأخطار التي قد تنجم عن كثرة العدد واختلاف العادات والثقافات في أثناء أداء مناسك الحج (Al-Darweesh and Al-Alyawi, 2013).

4. الحوادث في مواسم الحج

إن تجمُّع هذه الحشود الغفيرة من الحجاج في المشاعر المقدسة، على الرغم من ضيق المساحة بالنسبة لعدد الحجاج، في منطقة محصورة بين جبال، مع اختلاف جنسياتهم وأعمارهم ولغاتهم وثقافاتهم ومستوى الوعي والإدراك لديهم، لمدة زمنية لا تتجاوز الأيام المعدودة، بالإضافة إلى التعب والإرهاق والالتزام بالمناسك الصحيحة وخوفهم من ضياع حجهم؛ لعدم التزامهم بواجبات الحج من وجهة نظرهم.. هذه العوامل تزيد من فرص احتمالية حدوث أزمات وكوارث، كالتدافع الذي ينتُج عنه حدوث وفيات وإصابات، كما حدث في بعض مواسم الحج في الأعوام السابقة (الجدول 2، الشكل 1)، بالإضافة إلى حوادث الحرائق التي يذهب ضحيتها عشرات، كما حدث بمخيمات الحجاج بمشعر منى في حج عام 1395هـ؛ حيث أسفر حريق ضخم نشب في مخيمات الحجاج بعد انفجار إحدى أسطوانات الغاز عن مقتل 200 حاج. وفي حج عام 1417هـ، أدى انفجار سخَّان يعمل بالغاز في مخيمات الحجاج في منى إلى اندلاع حريق هائل ومقتل 343 حاجًّا وجرح أكثر من 1500 آخرين.

1.4. حادث تدافع الحجيج بمنى عام 1436هـ (2015م)

يُعد حادث تدافع الحجيج بمنى عام 1436هـ الحادث الأبرز في مواسم الحج السابقة؛ حيث كان عدد الوفيات بالمئات، وكذلك عدد المصابين؛ ففي صباح يوم الخميس 10 من ذي الحجة عام 1436هـ وفي الساعة التاسعة صباحًا، وفي أثناء توجُّه حجاج بيت الله الحرام إلى موقع الجمرات لرمي جمرة العقبة، حدث ارتفاع كبير في كثافة الحجاج المتجهين إلى الجمرات عبر شارع رقم 204، وتداخل مفاجئ عند تقاطعه مع الشارع رقم 223 بمنى؛ ما نتج عنه تزاحُم وتدافُع بين الحجاج وسقوط أعداد كبيرة منهم في الموقع، حسب ما ذكره المتحدث الرسمي للمديرية العامة للدفاع المدني، وقد بادر رجال الأمن وهيئة الهلال الأحمر السعودي، على الفور، للسيطرة على الوضع، بمنع حركة المشاة باتجاه موقع التزاحُم والتدافُع وتنفيذ إجراءات إسعاف الحجاج وإنقاذ المحتجزين منهم، وقد نتج عن الحادث مئات الوفيات والإصابات، وقد صرَّح المتحدث الرسمي لوزارة الداخلية – حينذاك – بأن حادث التدافُع في مشعر منى كان نتيجة تعارُض الحركة بين أفواج الحجيج في شارع 204 وشارع 223، مضيفًا أن ارتفاع درجات

جدول 1- الإحصاءات الخاصة بأعداد الحجاج القادمين من داخل المملكة (1426-1440هـ)

موسم الحج	نوع الحادث	عدد الحجاج المتوفين
1410 هـ	اختناق بسبب عطل نظام التهوية في نفق منى	1426 حاجًا
1414 هـ	تدافع خلال رمي الجمرات	270 حاجًا
1418 هـ	تدافع خلال رمي الجمرات	118 حاجًا
1421 هـ	تدافع خلال رمي الجمرات	35 حاجًا
1423 هـ	تدافع خلال رمي الجمرات	14 حاجًا
1424 هـ	تدافع خلال رمي الجمرات	364 حاجًا
1436 هـ	سقوط الرافعة بالحرم المكي الشريف	108 حجاج
	تدافع الحجاج بمنى	1500 حاج

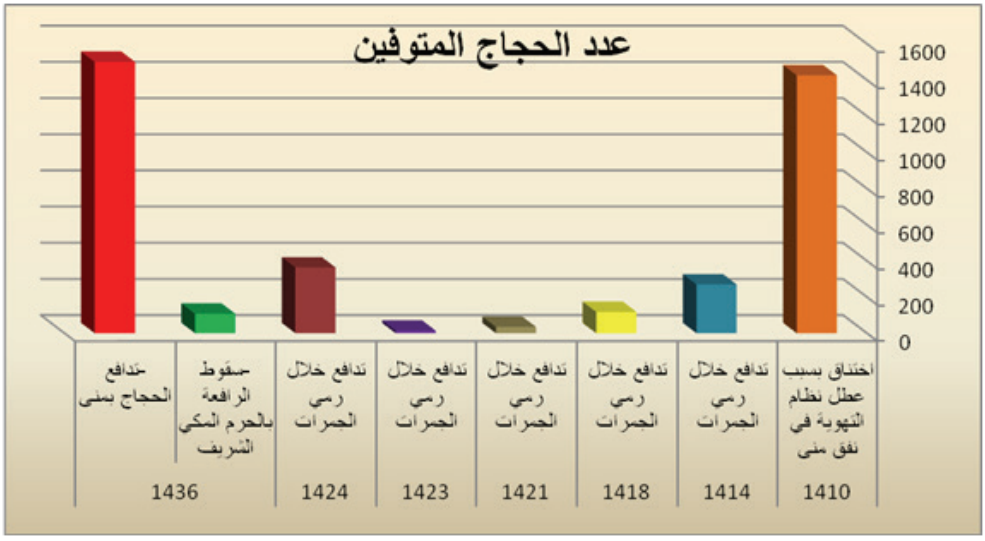

شكل 1 ـ نوع الحادث وعدد الحجاج المتوفين في مواسم حج سابقة.

الحرارة أسهم في سقوط الضحايا.

وقد روى شهود عيان أنَّ أعدادًا كبيرة من الحجاج من مختلف الجنسيات توجهوا نحو جسر الجمرات، وحين وصولهم إلى منتصف شارع سوق العرب (شارع رقم 204) توقفوا عن المشي بسبب أعدادهم الكبيرة، وما هي إلا دقائق معدودة حتى قدمت دفعات أخرى، وهي مَن سَبَّب التدافع وسقوط الحجاج بعضهم على بعض.

2.4. تحديد هوية الوفيات في حادث تدافُع منى عام 1436هـ

استنفرت كل أجهزة الدولة المشارِكة في الحج، بما فيها الأمنية والصحية والهلال الأحمر، لنقل المصابين إلى المستشفيات والوفيات إلى ثلاجات الموتى في مجمع الطوارئ في المعيصم وثلاجات الموتى بمستشفيات العاصمة المقدسة وبعض مستشفيات جدة والطائف، في حين توافد إلى موقع الحادث فريق من رجال الضبط الجنائي والتحقيقات الجنائية، كما جاء محققو النيابة العامة والأطباء الشرعيون وخبراء الأدلة الجنائية لمحاولة التعرُّف إلى هويات الجثث المجهولة؛ حيث كانت بالمئات، وذلك بعد حصر أعدادها.

وبعد معاينة خبراء المعاينة والمحققين ورجال الشرطة والأطباء الشرعيين أُخِذت طبعات البصمات لكل جثة وصُوِّرت، كما رُفعت عينات قياسية لفحصها عن طريق تقنية الحمض النووي الوراثي (DNA) للتعرُّف إلى البصمة الوراثية لكل جثة قبل دفنها؛ تمهيدًا لمقارنتها فيما بعدُ بأقاربها المتغيبين.

5. التحديات في تحديد الهوية بالبصمة الوراثية (DNA)

والبصمة الوراثية عبارة عن أرقام لخمسة عشر موقعًا وراثيًّا للاستعراف البشري المعمول به دوليًّا (Butler, 2005)، وكل موقع يحتوي على «أليلين»، كل «أليل» يمثِّل برقم، بحيث يكون النمط الوراثي عبارة عن ثلاثين رقمًا، وهذه الأرقام محدودة الفائدة في حال انعدام النمط الوراثي لعينة قياسية لصاحب الجثة مخزنة أنماطها الوراثية وبياناتها الوصفية في قواعد البيانات للحمض النووي الجنائي (DNA) لدى المختبرات الجنائية أو لعينة قياسية للأقارب الذين تربطهم بالجثة صلة وراثية قريبة جدًّا، كأب أو أم أو ابن أو أخ، والأمر يصبح أكثر تعقيدًا إذا كانوا من جنسيات وشعوب مختلفة، كما هو الحال في الحج، ما يتطلَّب تنسيقًا على المستوى الدولي، وتؤدي فيه العلاقات الدولية دورًا محوريًّا، وحيث إن المملكة تتمتَّع بعلاقات ممتازة مع كل دول العالم، فإن حكومة المملكة العربية السعودية تبذل جهودًا حثيثة لتوفير جميع السبل المؤدية إلى حسن الجوار وتذليل كل العقبات لعلاقات دبلوماسية جيدة معهم.

1.5. آليَّة التعامُل مع الجثث المجهولة من منظور مذكرة منظمة الشرطة الجنائية الدولية (الإنتربول)

موجز مراحل تحديد هويات ضحايا الكوارث:

تحدِّد المعلومات الآتية مهمة كل مرحلة من مراحل تحديد الهوية والاعتبارات الرئيسة والاستجابات التي

يتعيَّن تطبيقها في كلٍّ من تلك المراحل، وتعرض نظرة عامة مقتضبة عن العملية (Morgan et al., 2006).

5 .1 .1. المرحلة الأولى: موقع الكارثة

تنبغي معاملة موقع الكارثة معاملةَ مسرح الجريمة، وتنبغي المحافظة على الموقع كما هو، وأن تبقى كل الجثث والأشلاء البشرية والأدلة والممتلكات على حالها في الموقع وفي مكانها الطبيعي إلى حين وصول خبراء معاينة مواقع الحوادث الجنائية وخبراء الفحوص الوراثية المتخصصين في تحديد الهوية وجميع خبراء الأدلة الجنائية، والعمل وفقًا لسياسات الجهات القضائية المختصة وإجراءاتها.

إن طريقة التعامُل مع مواقع الأزمات والكوارث، وكذلك النظام المتبع في معاينتها ورفع العينات منها، قد يختلفان تبعًا للأولويات التي يحددها رئيس لجنة الحج العليا أو رئيس لجنة الحج المركزية؛ حيث إنه قد يكون من الضروري النظر في جمع الأدلة المادية قبل البدء في أي أنشطة لتحديد الهوية.

وينبغي أولًا وضع خطة لإدارة الموقع والاتفاق عليها وتحديد دور كل جهة ومسؤوليتها، ومن ثَمَّ بدء أنشطة الخبراء لتحديد الهوية.. وعندئذ تجري عمليات التصوير والتسجيل ووضع العلامات وتسجيل معلومات ما بعد الوفاة في استمارات الشرطة الدولية (الإنتربول) لتحديد الهوية.

ويتعيَّن تنسيق أنشطة هذه المهمة مع المهام الأخرى في موقع حادث التدافُع مثل العمليات المرتبطة بفرز الجثث المجهولة والممتلكات وحفظها ونقلها، فضلًا عن المهام المناطة بحفظ الأدلة وتخزينها.

5 .1 .2. المرحلة الثانية: مرحلة ما قبل الوفاة (جمع بيانات المفقودين)

تُعتبر عملية جمع بيانات المفقودين؛ تمهيدًا لمطابقتها ببيانات الجثث المجهولة في مرحلة ما قبل الوفاة، ذات أهمية بالغة، لكن أبعادها معقَّدة؛ لأنها تشمل إجراء مقابلات مع أسر المفقودين أو أقاربهم أو أصدقائهم للحصول على معلومات كافية عن قريب يُحتمل أن يكون قد تُوفي.. ومن الضروري، على المكلفين بهذه المرحلة، أن ينسّقوا أنشطتهم مع أنشطة أجهزة أو دول أو أجهزة قضائية مختصة أخرى للحصول على بيانات سابقة للوفاة من أماكن بعيدة.

وتركِّز مرحلةُ ما قبل الوفاة أنشطتها على قائمة المفقودين التي تُستمد من أسر وأقارب المفقودين أو عن طريق آليات أخرى، مثل: قائمة الركاب. وتقوم بهذه العملية فرقٌ مشكَّلة لإجراء المقابلات أو التحقيق، ومن مهامها أيضًا: جمع أوصاف مفصَّلة لكلٍّ من المفقودين (الضحايا المحتملين) بحيث تشمل تفاصيل محددة، مثل: المجوهرات أو الملابس أو غيرها من الممتلكات، فضلًا عن السجلات الطبية وسجلات الأسنان وصور الأشعة وبصمات الأصابع والبصمة الوراثية وتحديد تفاصيل أخرى.

وتُسجَّل هذه المعلومات في استمارات منظمة الشرطة الجنائية الدولية (الإنتربول) الصفراء لما قبل الوفاة؛ لتحديد هويات ضحايا الكوارث، وما إن تُجمع بيانات كافية وموثوق بها لما قبل الوفاة عن أحد المفقودين، يقيَّم الملف ذو الصلة، وفي حال استيفاء المطابقة المطلوبة لبيانات ما بعد الوفاة، يُحال الملف إلى خبراء الفحوص الوراثية لإجراء عملية تحديد الهوية والمطابقة.

5 .1. 3. المرحلة الثالثة: مرحلة ما بعد الوفاة (معاينة الجثث)

تتم عملية المعاينة الدقيقة للجثث المنقولة من مسرح حادث التدافُع في مشرحة أو ثلاجة حُدِّدت سابقًا لهذه العملية، كما هو الحال في مجمع الطوارئ في المعيصم، وتبقى بها إلى حين صدور الأوامر والتعليمات من الجهات المختصة حيالها.

ويُقصد بعمليات المعاينة والأساليب المطبَّقة خلال هذه المرحلة: التصوير الفوتوغرافي، ورفع بصمات الأصابع، وسجلات الأسنان، وأخذ عينات البصمة الوراثية أو التشريح من قِبَل الطبيب الشرعي، إضافةً إلى معاينة الجثث؛ حيث تُجرى معاينة المتعلقات الشخصية لكل جثة بدقة وتُنظَّف وتُخزَّن. وقد توجد ممتلكات خاصة بالجثة، وتشمل مجوهرات وأمتعة شخصية وملابس ومبالغ مالية، وكذلك بطاقات شخصية ومصرفية، ومرة أخرى تُسجَّل كل المعلومات التي تم الحصول عليها بعد الوفاة خلال هذه المرحلة في استمارات منظمة الشرطة الجنائية الدولية (الإنتربول) الوردية لما بعد الوفاة؛ لتحديد هوية الجثث المجهولة.

وبعد الانتهاء من عملية المعاينة، وبعد موافقة لجنة تحديد الهوية، تُحفظ الجثث المجهولة في ثلاجات، ريثما تُحدَّد هويات أصحابها؛ تمهيدًا لتسليم الجثث المجهولة إلى أصحابها بعد عملية الاستعراف، أو دفنها حسب توجيهات القيادة العليا للكارثة.

5 .1. 4. المرحلة الرابعة: مرحلة مطابقة البيانات

إنَّ وظيفة مركز المطابقة هي مطابقة بيانات ما بعد الوفاة ببيانات ما قبل الوفاة؛ لتحديد هوية المتوفَّى، وفي الحالات التي تتوافر فيها عناصر أساسية موثوق بها محدِّدة للهوية، كوجود علامات فارقة على الجثة أو سجلات الأسنان أو بصمات الأصابع أو البصمة الوراثية، فمن الضروري تقييم هذه العناصر المحدِّدة للهوية على أساس كل حالة على حدة. كما يمكن أن تشمل المطابقة الجمع بين الأدلة الطبية والملابس والمجوهرات والوشم والمستندات. ومن المهم التشديد على أن تحديد الهوية عبر التعرُّف البصري لا يمكن الوثوق به إلى حدٍّ كبير؛ لذا ينبغي عدم الاعتماد عليه وحده.

بعد تقييم ملفات المطابقة واعتبار مضمونها موثوقًا به وأصبح تحديد الهوية مؤكدًا، يُدعى مجلس تحديد الهوية إلى الانعقاد، وتُعرض نتائج المقارنة بين معلومات ما بعد الوفاة ومعلومات ما قبل الوفاة على المجلس الذي يدعو إلى عقده رئيس لجنة الحج العليا، ويُبلّغ قاضي التحقيق - أو السلطة المقابلة له - الذي يتحمَّل مجمل المسؤولية عن تحديد هويات المتوفين، بالنتائج الداعمة لاستنتاجات تحديد الهوية ويقَدَّم له تقرير المقارنة لكل الجثث المجهولة بما فيها الأشلاء.

وفي حال قبول رئيس لجنة الحج العليا ما توصَّل إليه فريق الخبراء لتحديد الهوية، يجري إصدار شهادة وفاة تُثبت سبب الوفاة وهوية الشخص المتوفَّى، وبعد إتمام هذه العملية تصدر أوامر رئيس اللجنة لتسليم كل الجثث المجهولة، التي تحوَّلت إلى معلومة، إلى الأسر المعنية أو دفنها.

2.5. أساليب تحديد الهوية (أولية وثانوية)

تحدد هوية جثث الضحايا على أساس تقييم عوامل متعددة؛ فدرجة الضرر الذي لحق بالجثث، ومدة بقائها في موقع الوفاة، وما يرتبط بذلك من التغيرات الرّمّية التي تطرأ على الجثة، هذا كله يؤثّر على طبيعتها وجودة بياناتها.. وهذه العوامل، مجتمعةً، هي التي تحدِّد أسلوب تحديد الهوية الذي يمكن اعتماده، والذي يُعدُّ الأنسب في ظل الظروف التي مرَّت بها الجثة.

وينبغي لأساليب تحديد الهوية المستخدمة في حالات الكوارث أن تكون سليمة وموثوقًا بها علميًّا وقابلة للتطبيق في الظروف الميدانية، وفي مدة زمنية معقولة، كما أنَّ من أهم أساليب تحديد الهوية وأكثرها موثوقية: تحليل بصمات الأصابع، وتحليل الأسنان، وتحليل البصمة الوراثية. وقد يمثِّل الكشف الطبي على الجثة عنصرًا محددًا للهوية يُعتد به.

أما الأساليب الثانوية لتحديد الهوية، كالوصف الشخصي ونتائج الفحوصات الطبية والعلامات الفارقة والوشم، فضلًا عن الممتلكات والملابس الموجودة على البدن، فهي عناصر داعمة ولا تكفي وحدها لتكون عنصرًا محددًا للهوية (ولكن تبعًا للظروف، يمكن أن تكون هناك بعض الاستثناءات).

ويمكن أن يشكِّل التعرُّف المرئي إلى الجثة من قِبَل الشاهد مؤشرًا على الهوية، لكنه غير كافٍ للتثبُّت من صحة هويات الضحايا في الكوارث واسعة النطاق؛ نظرًا للتشويه الذي قد يلحق بجثث الضحايا، ما يجعل التعرُّف المرئي إليها عن طريق المقارنة أسلوبًا لا يُعتد به، كما أن الإجهاد النفسي الذي كثيرًا ما ينتاب الأقارب في أثناء مواجهة الجثة يجعل هذا الشكل من تحديد الهوية غير موثوق به، كما أن تحديد الهوية القائم على الصور الفوتوغرافية غير موثوق به البتة وينبغي تجنُّبه.

وكل بيانات ما بعد الوفاة التي تم الحصول عليها من الجثث تُقيَّم وتُقارَن بالمعلومات التي جُمعت عن المفقودين. وبما أنه من الصعب أن تعرف سابقًا البيانات التي يمكن الحصول عليها من الجثث والمعلومات التي يمكن الحصول عليها لأغراض المقارنة في موقع إقامة الضحية، فينبغي جمع وتوثيق كل المعلومات المتاحة (قبل الوفاة وبعدها)، ومن أجل جودة كل بيانات ما قبل الوفاة وبعدها، ينبغي أن تستوفي أعلى المعايير الممكنة.

وفي حوادث الحج التي تنجم عنها خسائر كبيرة في الأرواح لا ينبغي تأكيد هويات جثث الضحايا إلا من قِبَل خبراء الفحوص الوراثية بمجلس تحديد الهوية، ومن قِبَل سلطة رئيس لجنة الحج العليا بعد إجراء التقدير والتقييم وتقديم بيانات موثوق بها.

3.5. الاعتبارات ذات الأولوية في عمليات تحديد هويات جثث الضحايا

تُعدُّ الطرق التقليدية المتَّبعة في إدارة حالات الطوارئ ذات أساس واحد، لكنها تُعدَّل تبعًا للظروف المحيطة بموقع الحادث والاعتبارات الأخرى، غير أن هناك كثيرًا من الحوادث التي تستوجب تحديد هويات جثث الضحايا، خاصَّةً في الحوادث التي تنجم عنها خسائر كبيرة في الأرواح؛ حيث تُعتبر أكثر تعقيدًا وتحتاج إلى توفير الحلول لها بشكل استباقي، وقبل

حدوث الكارثة بوقت طويل، كما تشكِّل الاعتبارات التالية مجالات القلق الرئيسة التي ينبغي لإدارة تحديد الهوية أن تكون مدركة لها تمامًا قبل الانتشار وفي أثنائه وبعده. بيد أن هذه الاعتبارات ليست شاملة؛ لأنه يمكن أن تكون لكل عملية من عمليات تحديد الهوية قضاياها ومشكلاتها الخاصة بها، تبعًا لطبيعتها ونطاقها وبيئتها، ومن بين تلك الاعتبارات ما يأتي:

5. 3. 1. الشروط القانونية المتعلِّقة بالاختصاص القضائي

ينبغي أن تتم عملية تحديد الهوية في إطار قانوني شرعي؛ لذا يتحتَّم أن تكون خاضعة لقوانين وقواعد البلد الذي حدثت فيه الكارثة، وهذا مبدأ أساسي؛ كونها تجعل السلطات الوطنية والإقليمية والمحلية تفعِّل قواعدها وإجراءاتها وفقًا للترتيبات المتفق عليها سابقًا والمعتمدة من قِبَلها، والخروج على هذا المبدأ يؤدي إلى تقويض العمليات القانونية الجارية في منطقة معينة، ليس هذا فحسب، بل يعوق أيضًا مجمل عمليات تحديد الهوية.

لذا، فإن الاتفاقات بشأن إدماج الفرق الدولية العاملة ضمن تحديد الهوية في البلدان الأجنبية مفيدة جدًّا؛ فهي تتيح إمكان تسوية الخلافات القانونية والإجرائية، وكذلك فإن الدفع باتجاه إبرام مثل هذه الاتفاقات يُنتج بروتوكولات للتعاون مع نظرائهم من الدول الأخرى.

5. 3. 2. الاعتبارات الدينية والثقافية

يمكن أن ينعكس عدمُ مراعاة الاختلافات الدينية المذهبية والثقافية سلبًا على كيفية تعامل المسؤولين مع الأسر؛ لذا فمن المهم أن يظلَّ كل فرد من العاملين في مجال تحديد الهوية مدركًا للجماعات المختلفة التي يمكن أن يصادفها عند التعامُل مع حادث تنجم عنه خسائر كبيرة في الأرواح، على اعتبار أن الأقارب والأصدقاء مفجوعون أصلًا جرَّاء خسارتهم ذويهم، فإن مفاقمة هذا الوضع بانعدام الفهم الثقافي والمذهبي يمكن أن تضيف إلى حزنهم حزنًا، وهو وضع يمكن تلافيه بتدريب العاملين في هذا المجال، وذلك عبر أخذ دورات في كيفية التعامُل البشري، وتعيين ضباط الاتصال ذوي المهارات الملائمة.

وينبغي على العاملين في تحديد الهوية التأكُّد من وجوب التقيُّد بالشروط القانونية للاختصاص القضائي المعيَّن، والحرص في الوقت ذاته على إبداء الاحترام وصون الكرامة عند التعامل مع أقارب المتوفين؛ وهذا أمر بالغ الأهمية، خاصَّةً لو جرى تقطيع الجثث إلى أشلاء.

5. 3. 3. ترتيبات الاتصال بالأسر أو الأقارب وتقديم الدعم لهم

على الرغم من وجوب التقيُّد دائمًا بالشروط القانونية فيما يتعلق بسقوط الضحايا، فإن من الأهمية بمكان أن تشمل عمليات تحديد الهوية نظمًا هيكلية وترتيبات محددة تُسهل تقديم الدعم والاتصال المستمر مع أسر الضحايا وأقاربهم

وتلبية احتياجاتهم من الرعاية النفسية، كما ينبغي إقناع أهالي الضحايا وأقاربهم بأن عملية تحديد هويات الضحايا في الإطارين القانوني والشرعي سوف تكون إسهامًا قويًّا في تسليم الجثث لهم ليدفنوها.

ويشمل التطبيق العملي لهذا المبدأ الرئيس إقامة علاقات تعاوُن مع الأقارب المفجوعين وإبداء أعلى مستوى ممكن من الاحترام والدعم تجاههم.

6. الخاتمة

قدمت هذه الورقة عرضاً يُعطي صورة موجزة عن آلية التعامل مع تحديد هويات الجثث المجهولة والأشلاء الآدمية في حال حدوث حادث (كارثة) نتجت عنه إصابات وعدد كبير من الوفيات في أثناء وجود الحجيج في مكة والمشاعر المقدسة في موسم الحج، كما وضحت الآلية وفق منظور منظمة الشرطة الجنائية الدولية (الإنتربول).

1.6. التوصيات

وبناءً على ما تقدم توصي الورقة بالآتي:

- دراسة فكرة إنشاء مركز الاستعراف البشري، الذي يمثِّل مكتب المطابقة، كما ذُكر بمذكرة منظمة الشرطة الجنائية الدولية (الإنتربول)، بحيث يكون الموقع بمجمع الطوارئ بالمعيصم؛ كونه يحتوي على ثلاجة الموتى ومشرحة الطب الشرعي، وتشتمل على الآتي:
  - تحديد هوية المجهولين (الذين لا يحملون إثبات هوية)، وكذلك الجثث المجهولة بعد موسم الحج بالطرق العلمية المعتمدة عالميًّا، وتحويلها إلى معلومة، وبالتالي تسريع تسليم الجثامين إلى الدول التي تنتمي إليها، بما يتوافق مع رسالة حكومة خادم الحرمين الشريفين، حفظه الله، في خدمة ضيوف الرحمن بأداء متميِّز وفعَّال.
  - سرعة تحديد هويات ضحايا الكوارث الجماعية المفاجئة.
  - تكوين فريق تحديد هويات ضحايا الكوارث (Disaster Victims Identification "DVI") الذي يُعد أحد المتطلبات الضرورية لمنظمة الشرطة الجنائية الدولية (الإنتربول).
  - إعداد برامج تثقيفية وتوعوية لجميع شرائح المجتمع للتعامُل مع ضحايا الكوارث والأزمات بالتنسيق مع مؤسسات المجتمع المدني بشكلٍ أمثل في حال وقوعها، لا قدَّر الله سبحانه وتعالى.
- إقامة ورش عمل بمشاركة المتخصصين من الجهات الأكاديمية الجامعية والمراكز البحثية والأجهزة الأمنية المخوَّلة بالمشاركة في مهام الحج؛ وذلك للإسهام بصورة فاعلة وفق المعايير الدولية في تحديد هويات الجثث المجهولة والأشلاء في حال حدوث كارثة، لا قدَّر الله، في أثناء وجود الحجيج في مكة والمشاعر المقدسة.

- دراسة الآليات والطرق النظامية وفق العلاقات الدولية التي تسهِّل الوصول إلى أسر المفقودين وأقاربهم؛ لأخذ عينات قياسية منهم وفحصها ومقارنتها بالأنماط الوراثية للجثث المجهولة؛ لتحديد هوياتها دون الحاجة إلى استدعاء ذوي المفقودين من البلدان التي يقيمون فيها (إذا وُجدوا)، الأمر الذي يسهِّل في عملية الاستعراف البشري.

ومن الآليات التي تقترحها هذه الورقة كآلية مبتكرة تسهل الوصول إلى تلك الجثث المجهولة: اتباع الخطوات الآتية:

- وضع نقطتي دم أو ثلاث على «FTA Card» الخاص بفحص الحمض النووي (DNA) (Healthcare, 2010) في أثناء الكشف الطبي، كأحد المتطلبات الضرورية للحصول على تأشيرة الحج أو العمرة، وذلك لتكون عينة قياسية مرجعية لطالب التأشيرة.
- بعد جفاف الدم على «FTA Card»، يُدوَّن عليه الاسم ورقم الجواز، ثم يُوضع في ظرف ورقي صغير (مقاس 10سم x 7سم) بداخله ورقة مدوَّنة عليها المعلومات الشخصية لصاحب الجواز (الاسم، الجنسية، رقم الجواز)، بالإضافة إلى بصمة الإبهامين اليمنى واليسرى، ثم يُختم من الجهة المحرزة للعينة وتحت مسؤوليتها.
- يُحفظ الظرف في موقع مناسب من المختبرات المركزية للدولة التي ينتمي إليها الحاج إلى حين الحاجة إليه.
- عند وصول الحاج أو المعتمر إلى المملكة يُسلّم جوازه لشركات الطوافة أو شركات العمرة، وفي حال هروب أي حاج أو معتمر أو فقدانه بسبب وفاة طبيعية أو كارثة - لا قدَّر الله سبحانه وتعالى- يتم التنسيق بين وزارة الخارجية ووزارة الصحة في الدولة التي ينتمي إليها المفقود، لتزويدها بالظرف الذي يحمل العينة القياسية الخاصة بالحاج المفقود والمدون عليه جميع بياناته مع بصماته ويُسلَّم لمركز الاستعراف البشري بمجمع الطوارئ بالمعيصم لفحصها ومطابقة أنماطها الوراثية بالأنماط الوراثية للوفيات والجثث المجهولة والأنماط الوراثية المخزنة في قواعد بيانات الحمض النووي (DNA) للعينات الجنائية والجثث المجهولة.

المصادر والمراجع

المراجع العربية

القرآن الكريم

صحيفة مال. (2017، 15 أغسطس). "هيئة الإحصاء: 24 مليون حاج خلال 10سنوات تشرفت بخدمتهم السعودية. https://www.maaal.com/archives/20170815/95403.

المراجع الأجنبية

Al-Darweesh, J.Y. and Al-Alyawi, A.Q.

of DNA from whatman FTA cards. Application Note, 28, 9822.

Morgan, O., Tidball-Binz, M., & Van Alphen, D. (2006). Management of dead bodies after disasters: a field manual for first responders. Pan American Health Organization (PAHO).

(2013). The Geography of Mecca and its Relationship with Water in the Islamic Era. Journal of Basra researches for Human Sciences, 38 (1), 142-179.

Butler, J. M. (2005). Forensic DNA typing: biology, technology, and genetics of STR markers. Elsevier.

Healthcare, G. E. (2010). Reliable extraction

Received 28 Nov. 2019; Accepted 12 Dec. 2019; Available Online 01 Oct. 2020

Keywords: *Security Studies, Hajj, DNA, Forensic Examination.*

الكلمات المفتاحية: الدراسات الأمنية، الحج، الحمض النووي، الفحص الجنائي.

*** Corresponding Author:** *Bandar Radatallah AL-Hothali*

Email: *hoth96@hotmail.com*

Production and hosting by NAUSS

doi: 10.26735/UAHX6584